

وصية طاهر بن الحسين لابنه عبد الله

دراسة تحليلية

Taher bin Al-Hussein message to his son Abdullah

-study and analysis-

د. بشرى بن دراجي¹

جامعة الحاج لخضر باتنة 1

bouchra_benderradji@yahoo.fr

تاريخ الوصول 2021/02/23 القبول 2021/06/19 النشر على الخط 2021/12/15

Received 23/02/2020 Accepted 19/06/2021 Published online 15/12/2021

ملخص:

حفلت كتب التاريخ الإسلامي بالوصايا، سواء كانت دينية أو أدبية أو سياسية، لا سيما إذا كانت صادرة عن أصحاب الخبرات المخلصة والصادقة في النصح والإرشاد والتوجيه. ولا شك أن أعظم الوصايا هي وصايا الأنبياء والرسل، وأعظم وصية في الأدب والأخلاق، وصية سيدنا لقمان لابنه، وكذلك وصية الرسول الخالدة لأمته في حجة الوداع. وسار الخلفاء على نهجه، واعتنى السلف بالوصايا لما لها من تأثير على نفس المتلقي، وهي وسيلة تواصل الأنبياء والمرسلين بالأمم، وكذلك الأمراء والعلماء مع شعوبهم والآباء بأبنائهم. اختلفت الوصايا في موضوعاتها ومحتوياتها باختلاف الأزمنة، فإذا دعت وصايا الأنبياء إلى وحدانية الله وعبادته، نجد وصايا الحكام والأمراء توجه لخلفائهم خلاصة تجاربهم، وترسم لهم المسارات الصحيحة التي سيتبعونها والقضايا والمشكلات التي تعترضهم في حياتهم. الوصايا وسيلة تواصل ليس بين المرسل والمتلقي فحسب، بل بين الأجيال لما تحمله من قيم ومبادئ وأفكار وتجارب، فهي نهج متكامل في الحياة. ومن الوصايا السياسية نرى أنها تحتاج للدراسة، وصية الأمير طاهر بن الحسين أمير خراسان لابنه عبد الله، التي تناقلها الناس واكتسبت شهرة في العصر العباسي الأول، وخلدتها مصادر وكتب التاريخ والأدب، لاحتوائها على قيم سياسية وأخلاقية لمن يتولى شؤون الأمة.

الكلمات المفتاحية: الوصايا السياسية؛ طاهر بن الحسين؛ عبد الله بن طاهر؛ خراسان؛ مصر.

Abstract:

Islamic history books are full of commandments, whether they are religious, literary or political, especially if they are issued by those with loyal and honest experiences in advice, guidance and direction. There is no doubt that the greatest commandment is the commandments of the prophets and messengers. And the greatest commandment in literature and morals, and the commandment of our master Luqman to his son, as well as the eternal will of the Messenger to his nation in the farewell pilgrimage. And the Caliphs followed his path, and the predecessors took care of the commandments because they have an effect on the same recipient. It is a means of communicating prophets and messengers with nations, as well as princes and scholars with their peoples and parents of their children. The commandments differed in their different subjects and contents with different tenses. If the commandments of the prophets call for the oneness and worship of God, we find the commandments of rulers and princes directing their successors the summary of their experiences. He shows for him the correct paths that he will follow in his life, and the issues and problems he faces in his life. The commandments are a means of communication, not between the sender and the recipient only, but between the generations because they carry the values and principles ideas, and experiences which are an integrated approach for them in life.

And from the political commandment I see that it needs to be studied, the will of Prince Taher Ibn Al Hussein, prince of Khorasan to his son Abdullah, which people transmitted and gained fame in the first Abbasid era, and which have immortalized by the sources and books of history and literature, because it contains political and moral values for those who handle the affairs of the nation

Keywords: Political wills; Taher bin Al Hussein; Abdullah bin Taher; Khorasan; Egypt..

¹ البريد الإلكتروني: bouchra_benderradji@yahoo.fr

¹ المؤلف المرسل: بشرى بن دراجي

مقدمة

تعد الوصايا في التاريخ الإسلامي من الوفرة بمكان وتأتي في صدارة هذه الوصايا وصايا الأنبياء والرسل، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾¹ ووصية سيدنا إبراهيم لبنيه قال تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾² ووصايا الرسول ﷺ للصحابة والخلفاء الراشدين-رضوان الله عليهم لقادة الجند، ومن يتولون أمر الأمة. ووصايا الخلفاء الأمويين والعباسيين والحكماء والعلماء ومن جاء بعدهم.

وما يهمننا في هذه الدراسة هي الوصايا السياسية، والإدارية الصادرة من قبل الرجال الذين حنكتهم التجارب، وعلمتهم الحياة لخصوصاً فيها ما خبروه أثناء حكمهم وإدارتهم لأمر الدولة وشؤون الناس. ومن بين هذه الوصايا التي تعد كمنهاج لكل حاكم ولي شؤون أمته، وصية الأمير طاهر بن الحسين أمير خراسان لابنه عبد الله لما ولي الرقة ومصر في عهد الخليفة المأمون (198-218 هـ)³ وعلى ضوء شهرة الوصية نطرح التساؤلات الآتية

- 1 - من هو طاهر بن الحسين؟
- 2 - دوافع كتابته للوصية؟
- 3 - ماهي الوصايا الواردة في الوصية؟
- 4 - إلى أي مدى عمل ابنه عبد الله بالذي نصح به؟
- 5 - ما القيمة التاريخية للوصية؟

أهداف البحث تتمثل في:

- إبراز أهمية الرسالة أو الوصية الواردة فيه
- أهمية القيم الإسلامية التربوية المستنبطة منها.
- تلازم الأخلاق في أي عمل مهما صغر.
- ولدراسة الموضوع اتبعنا المنهج الوصفي التحليلي والمنهج الاستنباطي.

¹ - سورة الشورى الآية 12

² - سورة البقرة الآية 132.

³ - أبو العباس عبد الله بن هارون الرشيد ولد سنة 170 هـ عد من العلماء الفقهاء ترجم كتب الأوائل صاحب الفكر المعتزلي تولى الخلافة بعد مقتل أخيه الأمين سنة 198 هـ شمس الدين بن محمد بن عثمان الذهبي، سير اعلام النبلاء، تحقيق شعيب الارناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993، ج 12، ص 118.

2 لمحة عن حياة كاتب الرسالة:

كاتب الرسالة هو طاهر بن الحسين بن زريق الامير ولد سنة (159هـ - 775م) في بوشنج¹ مقدم الجيوش ذو اليمينين²، القائم بنصر خلافة المأمون، حيث نذبه لحرب أخيه الأمين³ فسار بجيش لحربه، وحاصر الأمين فظفر به، وقتله فمقت لتسرعه في القتل. مأثور عنه الشهامة، كما عرف بالدهاء والجود ممدحا⁴ ولما ثبت الحكم للمأمون وواه سنة 205هـ على خراسان وما يقع إلى أقصى الشرق منها⁵ واستشار فيه أحمد بن أبي خالد، فصوب أحمد الرأي في تولية طاهر. فقال المأمون لأحمد: إني أخاف أن يغدر ويخلع ويفارق الطاعة. فقال أحمد: الدرك في ذلك علي فولاه المأمون، فلما كان بعد مدة أنكر المأمون عليه أموراً، وكتب إليه كتاباً يتهدده فيه، فكتب طاهر جواباً أغلظ فيه للمأمون، ثم قطع اسمه من الخطبة ثلاث جمع. فيبلغ ذلك المأمون، فقال لأحمد بن أبي خالد: أنت الذي أشار بتولية طاهر وضمنت ما يصدر منه، وقد ترى ما صدر منه من قطع الخطبة ومفارقة الطاعة، فو الله لئن لم تتلطف لهذا الأمر وتصلحه كما أفسدته وإلا ضربت عنقك. فقال أحمد: يا أمير المؤمنين طب نفساً، فبعد أيام يأتيك البريد بملاكه. ثم إن أحمد بن خالد أهدى لطاهر هدايا فيها كواميخ⁶ مسمومة، وكان طاهر يحب الكامخ، فأكل منها فمات من ساعته⁷. وكان ولده عبد الله قد قدم على المأمون من الرقة بعد أبيه، فولاه الجزيرة سنة 205 هـ⁸. كما جعله المأمون على الشرطة لما سير والده إلى خراسان⁹ خراسان⁹ وذكر ابن كثير بعد خروج طاهر بن حسين إلى خراسان وولى ابنه عبد الله الرقة ومصر كتب إليه كتاباً¹⁰ عُذَّ من أحسن الوصايا السياسية والإدارية التي أوصى بها والد أمير لابن بدأ خطواته الأولى في الإمارة.

¹ - بوشنج: مدينة من مدن هراة إحدى مدن أفغانستان حالياً وكانت تحت حكم الطاهريين إذ تولاهما طلحة بن زريق نيابة عن أبي مسلم وظل يحكمها بعد مقتله عام 136 هـ كما تولاهما الحسين بن مصعب والد طاهر كنائب المأمون أثناء فترة إمارته، ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، دار الفكر العربي، بيروت، ج 1، ص 508.

² - لقب بذلك لأنه ضرب شخصاً في واقعة علي عيسى ففقد نصفين وكانت الضربة بشماله فقال فيه الشعراء كلنا يديك يمين حين تضرب به. وقيل لقب بذلك لان المأمون كتب إليه يمينك يمين أمير المؤمنين وشمالك يمين. وقيل لأنه ولي العراق وخراسان الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج 12، ص 108.

³ - الأمين: محمد الأمين بن هارون الرشيد وأمه زبيدة ولد بالرصافة سنة 170 هـ وتوفي سنة 198 هـ جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - مطبعة السعادة، مصر، 1952، ج 12، ص 108.

⁴ - الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج 12، ص 108.

⁵ - زين الدين بن عمر بن المظفر الشهير بابن الورد، در الكتب العلمية، بيروت، د ط، 1996، ص 207.

⁶ - كواميخ: نوع من المخللات التي تستعمل لتشهيه الطعام محمد بن محمد بن عبد الرزاق الملقب بمرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق، مجموعة من المحققين، دار الهداية، الكويت، 1965، ج 7، ص 330.

⁷ - محمد بن علي بن محمد بن طباطبا المعروف ب الطقطقا، الفخري في الآداب السلطانية، دار صادر، د ط، 2007، ص 85.

⁸ - الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج 14، ص 19.

⁹ - ابن الاثير، المصدر السابق، ج 3، ص 163.

¹⁰ - أبو الفداء إسماعيل ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق، علي شري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 1988، ج 10، ص 282.

3 دوافع كتابة الوصية

تتلخص دوافع وصية طاهر بن الحسين لابنه في:

- رغبة الطاهريين في تأسيس دولة تخلد ذكراهم حيث كانوا اليد الطولى في إنجاح الدعوة العباسية في خراسان.¹
- رأى طاهر بن الحسين أن ولده عبد الله الاقدر والاكفأ على تحقيق حلم الطاهريين خاصة والخلافة العباسية تمر بفترات عصيبة.
- حاجة الخليفة المأمون لرجل ذي مروءة وقدرة على إدارة شؤون الدولة تحت أي ظرف، خاصة في الشرق أين تكثرت التمردات فوجد في عبد الله أكثر مما كان يتمنى.
- شفقة الأب على ابنه وثقل المسؤولية التي تولاها فأراد أن يقدم له خلاصة فكره وتجربته في إدارة الدولة.
- وعبد الله بن طاهر بن الحسين المولود في سنة 182هـ تأدب في صغره وقرأ علم الفقه وسمع عن وكيع²، ويحيى بن الضريس وعبد الله الله المأمون³ عرف ببراعته في تذوق الأدب والشعر⁴ كما عرف بالجدود والسماحة⁵ وعلو المنزلة وعظمة القدر والتمكن عند الخلفاء⁶ الخلفاء⁶ دعا المأمون عبد الله بن طاهر قال له: « يا عبد الله أستخير الله منذ شهر، وأرجو أن يخير الله لي، ورأيت الرجل يصف ابنه ابنه ليظريه لرأيه فيه، وليرفعه، ورأيتك فوق ما قال أبوك فيك⁷ فولاه الشام حربها وخراجها فخرج من بغداد إليها، ثم ولي مصر والرقعة لمحاربة نصر بن شيث⁸ وكتب إليه أبوه بكتاب فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإتباع الكتاب والسنة⁹ ثم نقله إلى خراسان بعد وفاة أبيه سنة 188 هـ¹⁰

4 الوصايا الواردة في الرسالة

حفلت الرسالة بالعديد من الوصايا التي يمكن تقسيمها إلى عدة مجالات

- 1- طلحة بن زريق كان على قمة التنظيم العباسي في خراسان إذ تولى مكاتبة إمام الدعوة في مقره السري في بلدة الحميمة، وكان يقوم بقراءة كتب الإمام إلى رجال الدعوة في خراسان. أما أخوه مصعب بن زريق جد طاهر بن الحسين، فقد عمل كاتباً لسليمان بن كثير كبير الدعاة، ويبدو أن هذين الأخوين كان يتمتعان بشخصية قوية ويغلب عليهما الرزانة والهدوء والتعقل، لكن طموحاتهم كانت كبيرة ومع ذلك لم يزوجوا بأنفسهم في الصراع الذي تفجر بين سليمان بن كثير وأبو مسلم الخراساني. أحمد محمد عدوان، موجز في تاريخ دويلات المشرق المستقلة، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، ص 18.
- 2- وكيع محمد بن خلف بن حيان، خير الدين بن محمود الزركلي، الاعلام، دار العلم للملايين، ط 5، 2002، ج 6، ص 114.
- 3- صلاح الدين بن خليل بن أبيك الصفدي، الوافي بالوفيات، دار إحياء التراث العربي، د ط، 2000، ج 5، ص 204.
- 4- يوسف بن تغري بردي جمال الدين، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة، مصر، د ط، 1963، ج 1، ص 208.
- 5- أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت، د ط، ج 9، ص 483.
- 6- شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، النويري نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2004، ج 4، ص 222.
- 7- محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1407، ج 5، ص 153.
- 8- نصر بن شيث العقبلي: من بني عقيل بن كعب بن ربيعة. كان أسلافه من رجال بني أمية. وكانت إقامته في " كيسوم " بشمالي حلب. وفي أيامه مات هارون الرشيد، وحدثت الفتنة بين الأمين والمأمون، وقتل الأمين. فامتنع نصر عن البيعة للمأمون، فملك سميساط وما جاورها من البلاد وناصره الكثير من العرب، واغتر بنفسه، وعبر الفرات إلى الجانب الشرقي منه (سنة 198) واستمر في امتناعه إلى أن ولي " المأمون " عبد الله بن طاهر (سنة 206) من الرقة إلى مصر، وأمره بحرب نصر بن شيث، فذهب إلى الرقة، وقاتل نصراً وحاصره إلى أن استسلم. الزركلي، المرجع السابق، ج 8، ص 23.
- 9- محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي، تسمية ولاية مصر، مؤسسة الكتب الثقافية، مصر، د ط، 1987، ص 54.
- 10- علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر، تاريخ دمشق، تحقيق، علي شري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د ط، 2007، ج 29، ص 216.

1.4 المجال التربوي والاخلاقي:

يأتي في مقدمة الوصية تقوى الله عز وجل ومراقبته واتباع السنة لتكون له حصنا منيعا في حياته وحياة الرعية يقول طاهر بن الحسين «عليك بتقوى الله وحده لا شريك له وخشيته ومراقبته ومزايله سخطه ومن أجل اكتساب مرضاة الله فليكن أول ما تلزم به نفسك وتنسب إليه فعالك المواظبة على ما افترض الله عليك من الصلوات الخمس والجماعة عليها قبلك بالناس في مواقيتها... ثم اتبع ذلك الأخذ بسنن رسول الله ﷺ والمثابرة على خلائقه واقتفاء آثار السلف الصالح من بعده»¹ لأن في استقام الوالي وصلاحه سبب لصلاح رعيته ومن تحت يديه وأن فساده وانحرافه سبب لفساد الرعية وانحرافهم قال عمر رضي الله عنه: إن الناس لن يزالوا بخير ما استقامت لهم ولاتهم وهداتهم² فجعل التقوى أساس كل عمل.

1.1. الموازنة بين أمور الدين والدنيا:

لا شك أنها معادلة صعبة ودقيقة تلك التي تجمع بين الدنيا والدين، وأيّ خلل في فهم هذه المعادلة سيؤدي إلى أخطاء كبيرة وتقصير عما يريد الله - سبحانه وتعالى وهذا ما أرشد به طاهر بن الحسين ابنه «عليك بالاعتقاد في الأمور كلها فليس شيء أبين نفعا ولا أضر أمنا ولا أجمع فضلا من القصد والقصد داعية إلى الرشد والرشد دليل التوفيق والتوفيق منقاد إلى السعادة وقوام الدين والسنن الهادية...»³.

2.1 حسن الظن بالله وبالرعية:

يقول ابن القيم من ثمرات حسن الظن بالله كلما كان العبد حسن الظن بالله حسن الرجاء له، صادق التوكل عليه، فإن الله لا يخيب أمله فيه البتة، فإنه سبحانه لا يخيب أمل أمل، ولا يضيع عمل عامل، وعبر عن الثقة وحسن الظن بالسعة، فإنه لا أشرح للصدر ولا أوسع له بعد الإيمان من ثقته بالله ورجائه له وحسن ظنه به⁴ فجاءت وصية الأب لابنه قال: «... واحسن الظن بالله عز وجل تستقم لك رعيته والتمس الوسيلة إليه في الأمور كلها تستدم به النعم عليك... واجعل من شأنك حسن الظن بأصحابك واطرد عنهم سوء الظن بهم وارضضه عنهم يعنك ذلك على اصطناعهم ورياضتهم... واعلم أنك تجد بحسن الظن قوة وراحة وتكفي به ما أحببت كفايته من أمورك وتدعو الناس إلى محبتك والاستقامة في الأمور كلها»⁵

2.4 في المجال السياسي

من خلال خبرة طاهر بن الحسين في الحياة السياسية سواء كإداري أو عسكري أن أساس العمل السياسي الناجح يتطلب من صاحبه أن يتحرك في إطار المبادئ والقيم الأخلاقية منها:

1.2.4 التزام الشورى واختيار البطانة الصالحة:

¹ - محمد بن جرير الطبري، المصدر السابق، ج 5، ص 156

² - أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، السنن الكبرى، دائرة المعارف النظامية، الهند، ط 1، 1344، ج 6، ص 162.

³ - عبد الرحمن بن خلدون تاريخ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ط، دت، ج 1، ص 303.

⁴ - محمد بن أبي بكر بن القيم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق، حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1، 1973، ج 1، ص 469.

⁵ - محمد بن جرير الطبري، المصدر السابق، ج 5، ص 157.

الشورى لا غنى عنها و الله عز وجل أمر بها نبيه ﷺ في قوله ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾¹ وقال ﷺ من استبد برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها² فالمشاورة في جميع الأمور في الحرب والسلام هي تمحيص الرأي وإبراء الذمة والخلوص إلى التبعية، السليمة من العقابيل، فعمر رضي الله عنه يرى الرأي الفرد كالخيط السحيل والرأيان كالخيطان المبرمان، والثلاثة لا يكاد ينتقض³ وقال الطروشني: ينبغي للملك أن يجالس أهل العقل وذوي الرأي والحسب والتجربة والعبر. فمجالسة العقلاء لقاح العقل مادته⁴. فجاءت وصية طاهر على هذا النحو «وأكثر مشاورة الفقهاء ومجالسة العلماء ومخالطتهم واستعمل نفسك بالحلم وخذ عن أهل التجارب وذوي العقل والرأي والحكمة كما أوصاه بالابتعاد عن أصناف من الناس قال: ولا تدخل في مشورتك أهل الدقة والبخل ولا تسمع لهم قولا فإن ضررهم أكثر من منفعتهم. ولا تمايلن حاسدا ولا ترحن فاجرا ولا تصلن كفورا ولا تدهنن عدوا ولا تصدقن نماما ولا تأمنن غدارا ولا توالين فاسقا ولا تتبعن غاويا ولا تحمدن مراتيا»⁵ لأن مخالطة مثل هؤلاء ومجالستهم مفسدة للحاكم والرعية والسوسة التي تنخر أسس الدولة والمجتمع.

2.2.4 حسن اختيار الولاية:

من رعاية مصالح الناس والاهتمام بشؤونهم والرفق بهم تولية الأمناء والأكفاء والصلحاء والأقوياء وقد وضع الرسول ﷺ معايير لمن يتولى الإمارة عن عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب قال: قال لي النبي ﷺ يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة، فأنك أن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها⁶ ولا تُؤكل للضعيف الغير قادر وقد سأل أبا ذر الغفاري النبي ﷺ أن يقلده إمارة؟ قال: فضرب بيده على منكبي ثم قال «يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليها فيها»⁷ لا يكفي كونه مستقيماً في نفسه إذا كان غير قادر على القيام بأمور الولاية لأي سبب من الأسباب، أو كان قليل الخبرة. حتى لا يمكن مخادعته واستغفاله واستدراجه.

كما لا تُؤكل لمن أراد الغنى والبحث عن الامتيازات وطاهر بن الحسين رجل ذو خبرة في القيادة وبالتالي فهو يضع ابنه على الطريق الصحيح وينصحه بحسن اختيار المسؤولين المكلفين بإدارة الولايات الموكلة إليهم فأوصاه: بالآتي «فاستعمل عليهم في كورك⁸ عملك عملك ذوي الرأي والتدبير والتجربة والخبرة والعمل والعلم بالسياسة والعفاف...»⁹ مقتديا بالسنة النبوية التي حددت مواصفات الوالي ومنها نظافة اليد عن أبي حميد الساعدي قال: استعمل رسول الله ﷺ رجلا من الأسد يقال له ابن اللثبية على الصدقة فلما قدم قال: هذا لكم وهذا لي أهدى لي قال: فقام رسول الله ﷺ على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال (ما بال عامل أبعثه فيقول

¹ - آل عمران الآية 159.

² - محمد بن منصور بن حبيش، الجوهر النفيس في سياسة الرئيس، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة، ط 1، 1996، ص 166.

³ - عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، عيون الأخبار، دار الكتب المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة، د ط، 1925، ص 13.

⁴ - محمد بن عبد الله الأزرقى - بدائع السلك في طبائع الملك - تحقيق - علي سامي النشار - وزارة الاعلام - العراق - ص 77.

⁵ - عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 307.

⁶ - محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، الجامع الصحيح، دار ابن كثير، بيروت، ط 3، 1987، ج 9، ص 63.

⁷ - مسلم بن الحجاج بن مسلم، صحيح مسلم، دار طيبة، ط 1، 2006، ج 3، ص 1458.

⁸ - كورة: جمع كور، كورة وهي المدينة أو الولاية. محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 1، ج 5، ص 154.

⁹ - محمد بن جرير الطبري، المصدر السابق، ج 5، ص 159.

هذا لكم وهذا أهدى لي أفلا قعد في بيت أبيه أو في بيت أمه حتى ينظر أيهدى إليه أم لا¹ فهذه المواصفات بل شروط لازمة لمن يتولى أمر رعاية مال وشؤون المسلمين ومصالحهم..

3.2.4 مراقبة الولاية ومحاسبتهم:

من مسؤولية الوالي المتابعة الدائمة والاشراف المستمر والمراقبة بطرق مختلفة ووسائل متنوعة وذلك للاطمئنان على قيام كل مسؤول بما أسند إليه من مهام على أكمل وجه ومن ظهر عليه تقصير أو عدم القدرة أو خيانة أو اهمال لأمر الدولة أو رعاية مصالح الرعية والاهتمام بها أدبه أو عزره أو عزله ثم يستبدله بمن هو أصلح وأكفأ فقد عزل عمر رضي الله عنه عمار بن ياسر² رضي الله عنه رغم صحبته للرسول ﷺ حينما شهد جرير بن عبد الله البجلي³ رضي الله عنه بعدم علمه بالسياسة وقيامه بواجبات الولاية. وعزل وعزل رضي الله عنه شرحبيل بن حسنة⁴ رضي الله عنه فقال: أعن سخطة نزعني؟ فقال: لا ولكن رأينا من هو أقوى منك، وروي عنه أيضا قال: «أرايتم إن استعملت عليكم خير من أعلم وأمرته بالعدل أفضيت ما علي؟ قالوا: نعم، قال: لا حتى أنظر في عمله، أعمل ما أمرته أم لا⁵ فلا يولي إلا من يثق بديانته وأمانته وصيانتته من العلماء والصلحاء، والأكفاء النصحاء، ولا يدع السؤال عن أخبارهم والبحث عن أحوالهم، ليعلم حال الولاية مع الرعية، فإنه مسؤول عنهم، مطالب بالجنابة منهم⁶. فقد كان عمر رضي الله عنه يراقب عماله وولاته ويسأل الوفود التي تقدم عليه من الأمصار المختلفة عن أمرائهم، يسأل كل وفد عن أميرهم، فيقولون خيراً، فيقول: هل يعود مريضكم؟ فيقولون: نعم، فيقول: هل يعود العبد؟ فيقولون: نعم، فيقول: كيف صنيعه بالضعيف؟ هل يجلس على باب؟ فإن قالوا لخصلة منها لا، عزله⁷ وهذا ما نصح به طاهر بن الحسين ابنه «وانظر عمالك الذين بحظرتك وكتابك فوقت كل رجل منهم في كل يوم وقتا يدخل عليك فيه يكتبه ومؤامرتة وما عنده من حوائج عمالك وامر كورك ورعيتك ثم فرغ لما يورد عليك من ذلك سمعك وبصرك وفهمك وعقلك وكرر النظر إليه التدبير له فما كان موقفك للحزم والحق فأمضه واستخر الله فيه وما كان مخالفا لذلك فاصرفه إلى التثبيت فيه والمسألة عنه»

¹ - عبد الله بن محمد ابن أبي شيبة، مصنف، تحقيق، محمد عوامة، دار القبلة، د ط، 2006، ج 6، 547.

² - عمار بن ياسر: بن عامر بن مالك بن كنانة كان من السابقين الأولين وهاجر إلى المدينة وشهد المشاهد كلها ثم شهد اليمامة قتل مع علي بصفتين سنة سبع وثلاثين وله ثلاث وتسعون سنة. أحمد بن علي ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، دار الجيل، بيروت، 1412، ج 4، ص 575.

³ - جرير بن عبد الله بن جابر وهو الشليل بن مالك بن نصر أن بجيلة أنهم نسبوا إليها وهي بجيلة بنت صعاب بن علي بن سعد العشييرة يوسف بن عبد الله ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1412، ج 1، ص 70.

⁴ - شرحبيل بن عبد الله بن المطاع بن الغطريف، الكندي عرف بشرحبيل بن حسنة (وهي أمه) أسلم بمكة، وهاجر إلى الحبشة، وغزا مع النبي صلى الله عليه وسلم فأوفده رسولا إلى مصر، وتوفي صلى الله عليه وسلم وشرحبيل بمصر. م جعله أبو بكر أحد الأمراء الذين وجههم لفتح الشام وتوفي بطاعون عمواس الزركلي، المرجع السابق، ج 3، ص 159.

⁵ - البيهقي، المصدر السابق، ج 8، ص 163.

⁶ - محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، تحقيق ودراسة وتعليق، فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الثقافة، قطر، د ط، 1988، ج 1، ص 66، 67.

⁷ - عبد العزيز إبراهيم العمري، الولاية على البلدان، في عصر الخلفاء الراشدين، دار اشبيلية للنشر والتوزيع، د ط، الرياض 2001 - ص 82.

ومن أجل الحفاظ على سلامة الإدارة في هذا الجانب؛ لابد من معرفة بعض الحقائق المساعدة والمهمة وهي أن الإنسان يجهل أحيانا ما مدى للوقت من أهمية وما ينتظره في المستقبل، فهو لا يأمن ما يحمله الغد له من مفاجآت وعواقب تمنع من إتمام الأعمال الموكلة إليه، أو ردّ الحقوق إلى أصحابها، ذلك ما استوعبه وفهمه طاهر بن الحسين فنصح ابنه ألا يؤجل عمل اليوم للغد قائلا: « وافرج عمل اليوم ولا تؤخره لغدك و أكثر مباشرة بنفسك، فإن لغد أمور وحوادث تلهيك عن عمل يومك الذي أخرت، واعلم أن اليوم إذا مضى ذهب بما فيه، وإذا أخرت عمله اجتمع عليك أمر يومين فشغلك ذلك حتى تعرض عنه، فإذا امضيت لكل يوم عمله أرحت نفسك وبدنك، وأحكمت أمور سلطانك»¹.

وعليه، فإن من أهم قواعد إدارة الحكم، أداء كل عمل في وقته وعدم تأجيله إلى وقت آخر، لئلا يزاحم غيره، فإن لكل وقت عمله، فإذا أدرك الإنسان ذلك استطاع أن ينجز أعماله ومشاريعه بنجاح. على جميع الأصعدة.

3.4 في المجال القضائي

1.3.4 إقامة العدل:

إقامة العدل في المجتمع بيني جسر الثقة بين الحاكم والمحكوم فينعم الحاكم بالاطمئنان من قبل المحكوم، وتستقيم شؤون المجتمع باستقامة الأفراد، فلما يولي في كل كورة قاضيا عالما متدينا محترزا عن أكل الحرام والشبهات ويكون صالحا ذا مروءة وإنصاف لا يطاول يده على مال الأيتام وميراثهم ولا يأخذ الرشوة ويقنع بوظيفة نفسه وعياله من بيت المال ويقطع طمعه عما في أيدي الناس² فيأخذ الجميع حقوقهم، فلا يهضم حق إنسان على حساب الآخر، فيتساوى الجميع ويتناصف الكل، فترجع الحقوق لأصحابها، ويُقضي على الظلم الذي هو سبب لهلاك الأمم والمجتمعات. فاجتمع إذا ما ساد فيه العدل تنتزع رغبات الميل والهوى من النفوس، وعليه أوصى طاهر ابنه قائلا له «واعلم أن القضاء من الله بالمكان الذي ليس به شيء من الأمور لأنه ميزان الله الذي تعادل عليه الأحوال في الأرض وإقامة العدل في القضاء والعمل تصلح الرعية وتأمين السبيل وينتصف المظلوم ويأخذ الناس حقوقهم وتحسن المعيشة ويؤدي حق الطاعة ويرزق الله العافية والسلامة ويقوم الدين وتجري السنن و الشرائع وعلى مجاريها ينتجز³ الحق والعدل في القضاء» وجاءت السنة النبوية لتؤكد منزلة أهل العدل قال ﷺ: سبعة يظلمهم الله في ظله يوم القيامة لا ظل إلا ظله الإمام العادل⁴ ويحذر طاهر ابنه بعدم الاستعجال في سفك الدماء مخافة أن يقع في الخطأ لأنها عند الله عظيمة قائلا له «وسلط الحق على نفسك ولا تسرعن إلى سفك الدماء فإن الدماء من الله بمكان عظيم انتهاكا لها بغير حقها»، كما أوصاه بالإنصاف حتى مع الخصوم « وانصف الخصم وقف عند الشبهة و أبلغ في الحجة ولا تأخذك في أحد من رعيتهك محاباة ولا محاماة ولا لوم لائم وثبت وتأن وراقب وانظر وتدبر وتفكر واعتبر». روي أن رجلا من هراة رفع قصته إلى عبد الله بن طاهر. فلما قدم بين يديه قال: من خصمك؟ قال: الأمير أيده الله. قال: ما الذي تدعي علي؟ قال: ضيعة لي بهرة غصبنيتها والد الأمير، وهي اليوم في يده. قال: ألك بينة؟ قال: إنما تقام البينة بعد الحكومة إلى القاضي. فإن رأى الأمير أيده الله أن يحملني وإياه على حكم الإسلام. قال: فدعا

1- محمد بن جرير الطبري، المصدر السابق، ج 5 ص 159 .

2- محمود بن إسماعيل، الدرر الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء، مكتبة نزار مصطفى الباز نزار، الرياض، 1996، ج 1، ص 70.

3- كذا جاءت فإن لم تكن خطأ مطبعياً فإن صوابها ينجز لما تعلق معناها لما بعدها.

4- محمد بن إسماعيل البخاري، المصدر السابق، ج 1، ص 133.

عبد الله بن طاهر بالقاضي نصر بن زياد¹ ثم قال للرجل: ادع. قال: فادعى الرجل مرة بعد أخرى. فلم يلتفت إليه نصر بن زياد، ولم يسمع دعواه، فعلم الأمير أنه قد امتنع عن استماع الدعوى حتى يجلس الخصم مع المدعي، فقام عبد الله بن طاهر من مجلسه حتى جلس مع خصمه بين يديه، فقال نصر للمدعي: ادع فقال: ادعى أيد الله القاضي أن ضيعة لي بكرة وذكرها بحدودها وحقوقها، هي لي في يدي الأمير، فقال له الأمير عبد الله بن طاهر: أيها الرجل، قد غيرت الدعوى إنما ادعيت أولاً على أبي، فقال الرجل: لم أشته أن أفضح والد الأمير في مجلس الحكم، ادعي أن والد الأمير قد كان غصبي عليها، وإنما اليوم في يد الأمير، فسأل نصر بن زياد عبد الله بن طاهر عن دعواه فأنكره، فالتفت إلى الرجل فقال: ألك بينة؟ قال: لا، قال: فما الذي تريده؟ قال: يمين الأمير بالله الذي لا إله إلا هو قال: فقال الأمير إلى مكانه وأمر الكاتب ليكتب إلى هرة برد الضيعة عليه².

فبإقامة العدل يستقيم الملك ويدوم، وسأل عبد الله والده ذات يوماً قال: كم تبقى هذه الدولة فينا وتبقى في بيتنا؟ قال: ما دام بساط العدل والانصاف مبسوطان في هذا الايوان، فالانصاف بخلق العدل يرفع صاحبه إلى أعلى الدرجات في نظر المجتمع ويكون محل تقديرهم وإجلالهم الدائم ودوام الملك واستتباب الأمن.

4.4 في المجال العسكري

الاهتمام بالجيش مادياً ومعنوياً يمثل درع الأمة وحاميتها داخلياً وخارجياً، وعين الحاكم التي لا تنام، وحفظاً لكل ذي سلطان، فجاءت وصية طاهر لابنه على هذا النحو « وتفقد أمور الجند في دواوينهم ومكاتبتهم، وأدرر عليهم أرزاقهم ووسع عليهم في معاشهم، ليذهب بذلك الله فاقتهم ويقوم لك أمرهم، ويزيد به قلوبهم في طاعتك وأمرك خلوصاً وانشراحاً، وحسب ذي سلطان من السعادة أن يكون على جنده ورعيته رحمة في عدله، وحيطته وإنصافه وعنايته وشفقته وبره وتوسعته، فزایل مكروه إحدى البليتين باستشعار تكملة الباب الآخر ولزوم العمل به، تلق إن شاء الله نجاحاً وصلاً وفلاحاً ». وصديق الحاكم جنده، وعدوه ماله، فإن ضعف ماله ببذله لجنده قوي صديقه وناصره، وإن قوي عدوه بمنعه الجند، ضعف جنده الذي هو ناصره و إذا كانت الحاجة إلى الجند كذلك، فلا بد من إدرار أرزاقهم، وسد حاجاتهم، وتفقد أحوالهم، ومصالح عيالهم، وإلزامهم بقدر عنائهم، ولا يتم ذلك إلا بصلاح جهات الأموال إذ لا بد من رزق يجمعهم وعطاء يكفلهم لما أرصدوا له أنفسهم من حماية الإسلام، والذب عنه، وعن أهله³

5.4 في المجال الاجتماعي

من أعظم الأسس التي يقوم عليها بناء مجتمع قوي متماسك متعاون التلاحم بين الراعي والرعية؛ فكلما وُجد التلاحم شاعت الرحمة والمودة؛ فلا تستقر أحوال أي مجتمع دون وجود حاكم شرعي، يُقيم القسط، وينشر العدل، ويجوِّط الأمة في دينها ودينها، لا يؤثر نفسه وقربته وأهله وعشيرته على سائر رعيته، بل يتحرى العدل في جميع مسالكه بقدر استطاعته، فتستقيم أمور دولته. وبالعدل تحفظ حقوق الراعي والرعية و فجاءت وصية طاهر لابنه « ثم اقم فيهم بما يحق الله عليك ولن تمل العدل فيما أحببت أو

¹ - نصر بن زياد: بن زياد الفقيه النيسابوري قاضي نيسابور، تفقه على محمد بن الحسن، وتآدب علي النضر بن شميل، وكان كوفي المذهب، وولي قضاء نيسابور بضع عشرة سنة، وتوفي سنة 236 هـ صلاح الدين بن خليل بن أبيك الصفدي، المصدر السابق، ج 7، ص 322.

² - علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر، المصدر السابق، ج 4، ص 226.

³ - محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، المصدر السابق، ص 97. 98.

كرهت لقريب من الناس أو بعيد « وكلما تحرى العدالة أحبه رعيته وتدعو له بالخير والفلاح، ويكثر التراحم في المجتمع بين الراعي والرعية كما لم يهمل من يكدر صفو الرعية في الامن ويعيث في المجتمع الفساد ناصحا إياه « واقم حدود الله في أصحاب الجرائم على قدر منازلهم وما استحقوه ولا تعطل ذلك و لا تهاون به ولا تؤخر العقوبة فان في تفریطك في ذلك لما يفسد عليك حسن ظنك واعزم على أمرك في ذلك بالسنن المعروفة وجانب الشبه والبدعات يسلم لك دينك وتقم لك مروءتك» لان هناك صنف من الناس لا تردعه إلا العقوبة لحماية مصالح الناس والمجتمع ويستتب الأمن وتطمئن الرعية.

1.5.4 الاهتمام بالحياة الاجتماعية:

من مسؤولية الحاكم الاهتمام بالحاجات الأساسية للمجتمع بمختلف طبقاته من حيث تأمين مستوى كريم من المعيشة والخدمات الأساسية للجميع، فجاءت وصية طاهر لابنه «.. وتعاهد أهل البيوتات ممن دخلت عليهم الحاجة فاحتمل مؤنتهم وأصلح حالهم حتى لا يجدوا لخلتهم مسا».

كما أوصاه بالاهتمام ومتابعة المحتاجين والمرضى وقضاء الحوائج هو العمل على مساعدة الضعفاء والعجزة والفقراء والمساكين والمعاقين والشيوخ والأرامل واليتامى والإحسان إليهم، قال الرسول ﷺ: الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل والصائم النهار¹ فجاءت نصيحة طاهر لابنه «وأفرد نفسك للنظر في أمور الفقراء والمساكين ومن لا يقدر على رفع مظلمة إليك، والمحتقر الذي لا علم له بطلب حقه، فاسأل عنه أحفى مسألة، ووكّل بأمثاله أهل الصلاح من رعيته ومرهم برفع حوائجهم وحالاتهم إليك، لتنظر فيها بما يصلح الله أمرهم، وتعاهد ذوي البأساء ویتاماهم وأراملهم واجعل لهم أرزاقا من بيت المال، اقتداء بأمر المؤمنين أعزه الله في العطف عليهم والصلة لهم، ليصلح الله بذلك عيشتهم ويرزقك به بركة»

كما تضمنت نصائحه الجانب الإنساني للمجتمع من حيث العناية بصحة المجتمع ومعالجة المرضى، وأهم حاجات المجتمع إقامة دور لمرضى المسلمين وبناء المستشفيات وإيوائهم وقواما يقومون بخدمتهم، وأطباء يعالجونهم، وتحقيق شهواتهم ورغباتهم، ما لم يؤدي ذلك إلى إلحاق ضرر ببيت مال المسلمين،

وهذا فهم متقدم ورعاية شاملة يؤمنها لمرضى المسلمين كافة، مع الأخذ بعين الاعتبار الوضع المالي للدولة،² وجاءت وصيته « وانصب لمرضى المسلمين دورا تؤويهم وقواما يرفقون بهم، وأطباء يعالجون أسقامهم، وأسعفهم بشهواتهم ما لم يؤدي ذلك إلى سرف في بيت المال»³ كما لم ينس أحرار الناس وأهل الشرف منهم، ناصحا إياه «وانظر أحرار الناس وذوي الشرف منهم، ثم استيقن صفاء طويتهم وتهذيب مودتهم لك، ومظاهرتهم بالنصح والمخالصة على أمرك فاستخلصهم وأحسن إليهم»

2.5.4 التواصل المباشر مع الرعية:

هناك بعض القضايا الهامة في الدولة، قد يعجز عن حلها الولاية فيلزم الحاكم مباشرتها بنفسه، لأن طول احتجابه عن الرعية مدخل لكثير من السلبيات فتنتشر الشائعات، وقد يستغل أصحاب النفوس الضعيفة وأعداء الدولة فيرفعون أقواما ويحرقون أناس، ويحسنون

¹ - محمد بن إسماعيل البخاري، المصدر السابق، ج 5، ص 2047.

² - موسى إبراهيم علي، التوجيهات التربوية المستنبطة من وصية طاهر بن الحسين لابنه عبد الله (ت 207)، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 1441، ص 88

³ - محمد بن جرير الطبري، المصدر السابق، ج 5، ص 160.

القبیح ويخلطون الحق بالباطل، قال: الخليفة علي كرم الله وجهه فلا تُطوّلن احتجاجك عن رعيّتك؛ فإنّ احتجاج الولاية عن الرعية شعبةٌ من الضيق، وقلة علمٍ بالأُمور. وبخبرة طاهر بن الحسين رأى أن الحاكم حتى وإن أدى مهامه وهو ملزم بما يحكم ما استرعاه الله على الناس، فهو ملزم باستقبال رعيّته وألاّ يحتجب عنهم، فجاءت نصيحته لابنه «وأكثر الإذن للناس عليك، و أبرز لهم وجهك، وسكن لهم أحراسك، واخفض لهم جناحك، وأظهر لهم بشرك، ولن لهم في المسألة والمنطق، واعطف عليهم بجودك وفضلك»¹ لأن الاحتجاب الحاكم عن الأمة يقطع عنه أعظم رافدٍ من روافد المعرفة بما يجري في البلد من ورائه؛ وسوف يكون المحيطون به، ومن يشكّلون طبقة حاشيته هم مصدر معرفته، وهؤلاء لا يوصلون له إلاّ ما يضمن رضاه عنهم، واستمرارهم في مناصبهم، فلا يكتف هؤلاء مصدره الوحيد، ولا يكونوا التّافذة الوحيدة التي يطلّ على الأمة من خلالها، بل الأمة أعظم وأصدق نافذة له².

6.4 في المجال العلمي:

الاهتمام بالعلم والعلماء والمفكرين والمبدعين في مختلف ميادين العلم والمعرفة، هو اللبنة التي ترتكز عليها الدولة وتسعى للوصول إلى أعلى المراتب، لما له من أهمية كبيرة وأثر عظيم يعود على الفرد والمجتمع، فالعلماء حماة الامة من أي زلل أو انحراف فكري. للعلماء منزلة شريفة تعلوا عما سواهم قال سفيان الثوري: خير الملوك من جالس أهل العلم³ وملكانتهم عند الله. يقول عز وجل ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾⁴

قال ﷺ العلماء مصايح الجنة وخلفاء الأنبياء⁵ فجاءت نصيحة طاهر لابنه «وقدم حملة القرآن منهم والحافظين لأكثره في الحراية على غيرهم، وأثر الفقه وأهله والدين وحملته وكتاب الله والعالمين به، فإن أفضل ما تزين به المرء الفقه في دين الله والطلب له والحث عليه والمعرفة بما يتقرب فيه منه إلى الله، فإنه الدليل على الخير كله والقائد له والأمر به والناهي عن المعاصي والموبقات كلها»⁶

7.4 في المجال الاقتصادي

لقد حرص الإسلام حرصا بالغا على تنمية الإنسان وتنمية موارده الاقتصادية، ليعيش حياة طيبة كريمة، هانئة مليئة بالإنجاز والعمل. الصالح الذي يؤتي ثماره مرتين: مرة في الحياة الدنيا، بعمارة الأرض واستغلال مواردها، لتعود بالمنفعة على الدولة لما تحصله من خراج وركاة، وعلى الرعية لتحقيق رغباتها، ومرة في الحياة الآخرة، نظير استجابتها بعمارة الأرض بالخير.

وكون المال قوام الحياة، وبه تتم جميع الأعمال، ولا إعمار بدون مال، ولا يتم تبادل السلع دون أن يكون هذا الوسيط حاضرا، ومن ثم كان من الواجب أن تحرص الدولة على الإنفاق تماما، كما تحرص على الجباية، أي تعمل على إعادة أموال الجباية إلى دائرة

¹ - عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ، ج 1، ص 310.

² - محمد الصادق الهاشمي : احتجاج الحاكم عن رعيته مقال منشور تاريخ 20 / 6 / 2020 ، اطلع عليه الساعة 17 و 51 دقيقة يوم 31 / 12 / 2020

<https://www.awarenessyemen.com/>

³ - محمود بن اسماعيل، المصدر السابق، ص 7.

⁴ - سورة الزمر الآية 9.

⁵ - محمود بن إسماعيل، نفس المصدر، ص 99.

⁶ - محمد بن جرير الطبري، المصدر السابق، ج 5، ص 160.

التداول عن طريق الإنفاق، الذي تقوم به الدولة وكذلك أهل الصلاح والاحسان، ويكون ذلك انطلاقاً من حرصها على ضمان خدمة الاقتصاد.¹ والمال قوة للحاكم وعمارة الدولة وحافظ الأمن ونتاجه العدل، وهو حسن الحاكم ومادة النظام.² به تحفظ العمارة، وذلك العدل الذي قامت به السماوات والأرض، قالوا: لا جباية إلا بعمارة، ولا عمارة إلا بعدل. وفي السياسة: بالعدل عمرت الأرض وقامت³ لذلك جاءت وصية طاهر لابنه في هذا مجال توزيع الأموال على الرعية بالسوية وفرض الضريبة دون شطط « واعلم أن الأموال إذا كثرت وذخرت في الخزائن لا تثمر، وإذا كانت في إصلاح الرعية وإعطاء حقوقهم وكف المؤنة عنهم نمت وربت وصلحت به العامة وتزينت الولاية، وطاب به الزمان، واعتقد فيه العز والمنعة، فليكن كنز خزائنك تفريق الأموال في عمارة الإسلام وأهله، ووفر منه على أولياء أمير المؤمنين قبلك حقوقهم، وأوف رعيته من ذلك حصصهم، وتعهد ما يصلح أمورهم ومعايشهم، فإنك إذا فعلت ذلك قرت النعمة عليك واستوجبت المزيد من الله، وكنت بذلك على جباية خراجك وجمع أموال رعيته وعملك أقدر وكان الجمع لما شملهم من عدلك وإحسانك أسلس، لطاعتك وأطيب أنفساً لكل ما أردت، فاجهد نفسك فيما حددت لك في هذا الباب، ولتعظم حسبتك فيه فإنما يبقى من المال ما انفق في سبيل حقه»⁴ فليس هناك محسوبية أو مدهنة مدهنة أو استئثار بثروة الأمة، بل يجب العدل في تقديم العون لمن يستحقه ومنعه عمن لا يستحقه .

8.4 الدعاء له بالتوفيق والسداد:

جاءت خاتمة وصية طاهر لابنه بالدعاء له بالتوفيق وسداد الرأي في القول والعمل داعياً له «وأنا أسأل الله أن يحسن عونك وتوفيقك ورشدك وكلاءك، وأن ينزل عليك فضله ورحمته بتمام فضله عليك وكرامته لك، حتى يجعلك أفضل مثالك نصيباً وأوفرهم حظاً وأسناهم ذكراً وأمرأ، وأن يهلك عدوك ومن ناوأك! وبغى عليك، ويرزقك من رعيته والعافية، ويحجز الشيطان عنك وساوسه، حتى يستعلى أمرك بالعز والقوة والتوفيق، إنه قريب مجيب»⁵

5.مدى عمل عبد الله بن حسين بالذي نصح به:

هو لا شك سؤال ملح ووجيه وتبقى الإجابة والبت فيه بعد أن نستعرض ما أجزه هذا الأمير اثنا ولايته سواء في مصر والرقية وفي إقليم خراسان ونتائج تلك السياسة التي سلكها سواء مع من ولاية الأمر أو مع الرعية من خاصتها أو عامتها.

1.5 في ولاية مصر:

شهدت فترة ولاية عبد الله بن طاهر على مصر بالرغم من قصرها، استقراراً وازدهاراً ملحوظاً في مختلف النواحي:

¹ - علاش أحمد، محفزات النشاط الاقتصادي في الإسلام، رسالة دكتوراه في الاقتصاد، جامعة يوسف بن خدة، الجزائر، 2006، ص 89.

² - محمد بن محمد بن الوليد الطرطوشي، سراج الملوك، المطبوعات العربية، مصر، د ط، 1872، م ص 99.

³ - محمد بن علي ابن الأزرق، المصدر السابق، ص 38.

⁴ - محمد بن جرير الطبري، المصدر السابق، ج 5، ص 157.

⁵ - محمد بن جرير الطبري، نفس المصدر، ج 5، ص 160.

بسطة للأمن والاستقرار في البلاد بعد أن تمكن من القضاء على الفوضى والاضطراب حيث قضى على الفتنة التي شهدتها مصر وبقدم عبد الله بن طاهر الإسكندرية في سنة 210 وأجلي من كان تغلب عليها من أهل الأندلس عنها حيث احتلوها 202 هـ وكان قائدهم رجل يدعى أبا حفص أيام فتنة الجروي¹ وعبيد الله ابن السري² وبقدم عبد الله بن طاهر مصر 210 هـ أرسل إلى من كان بها من الأندلسيين وإلى من كان انضوى إليهم يؤذهم بالحرب إن هم لم يدخلوا في الطاعة فأجابوه إلى الطاعة وسألوه الأمان على أن يرتحلوا من الإسكندرية إلى بعض أطراف الروم التي ليست من بلاد الإسلام فأعطاهم الأمان على ذلك رحلوا عنها فنزلوا جزيرة من جزائر البحر يقال لها إقريطش فاستوطنوها وأقاموا بها سنة 212 هـ³ كما حارب نصر بن شيبث النصري⁴ المتغلب على كيسوم وما والاها من ناحية الجزيرة، سنة 206 هـ وضيق عليه الحصار حتى طلب الأمان فأجابته المأمون لطلبه فسيره عبد الله إلى بغداد وهدم كيسوم وخرّبها وحمل نصر إلى بغداد سنة 210 هـ⁵ شهدت مصر في عهده العديد من مظاهر العمران:

زاد في بناء المسجد عمرو بن العاص بالفسطاط.⁶

اهتم بالزراعة وأدخل مزروعات جديدة مثل البطيخ العبدلي نسبة إليه وعبد الله أول من نقله من خراسان إلى مصر⁷ تميزت فترة ولايته بالعدل والنزاهة وحسن النظر والجدد والكرم، ووهب له المأمون ما وصل إليه من الأموال هنالك ففرقه على القواد⁸ ولما رتب أحوالها دامت فترة ولايته على مصر سنة واحدة وخمسة أشهر وعشرة أيام، وخرج منها في 25 من شهر رجب سنة 212 هـ؛ واستخلف على مصر عيسى بن يزيد الجلودي على صلاحها وركب البحر وتوجه إلى العراق؛ فلما قارب بغداد تلقاه العباس ولد الخليفة المأمون، والمعتمض محمد أخو المأمون وأعيان الدولة؛ وقدم عبد الله بغداد وبين يديه المتغلبون على الشام ومصر مثل ابن أبي

¹ - علي بن عبد العزيز بن الوزير الجروي، (000 - 215 هـ / 000 - 831 م)، أحد القادة الشجعان بمصر. كان أبوه قد ثار على واليها المطلب بن عبد الله والسري بن الحكم، ومات محاصراً الإسكندرية، فخلفه علي (ابن الجروي) سنة 205، وحارب عبيد الله بن السري (بعد موت السري) أمير مصر، بشظونف ودمنهور، فظفر ابن الجروي. ثم اصطالحا. وأقام علي في تنيس إلى أن بعث إليه الخليفة المأمون بالولاية على تنيس والحواف الشرقي. ثم نشبت فتنة بينه وبين ابن السري (والي فسطاط مصر وصعيدها وغربها) فأرسل المأمون إليهما عبد الله بن طاهر، فأخذ نارهما. وأخرج ابن الجروي إلى مصر على أن يدفع إليه الأموال التي عنده، فلم يدفع ابن الجروي شيئاً، فقتله الأفيشين. الزركلي، المرجع السابق، ج 4، ص 300.

² - هو عبيد الله بن السري بن الحكم بن يوسف؛ ولي إمرة مصر بعد موت أخيه محمد بن السري بمبايعة الجند له سنة 206 هـ على الصلاة والخراج معاً. وسكن العسكر، ولما ولي عبيد الله مصر وقع بينه وبين الجروي الخارجي حروب كثيرة، خرج عن طاعة المأمون وجمع وحشد؛ فبلغ المأمون ذلك وطلب من عبد الله بن طاهر ان يسير بجيش للقضاء عليه وتمكن بعد قتال شديد فحاصره عبد الله بن طاهر وضيق عليه حتى أباد جيشه وأشرف هو على الهلاك، فطلب عبيد الله بن السري الأمان فامنه وعزله المأمون. يوسف بن تغري بردي جمال الدين، المصدر السابق، ص 204.

³ - أحمد بن محمد بن خالد الناصري، الاستقصاء لدول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، د ط، 1997، ج 1، ص 223.

⁴ - نصر بن شيبث بن كعب بن ربيعة، من بني عقيل يسكن كيسوم، ناحية شمالي حلب، وكان في عنقه بيعة للأمين، فلما قتل الأمين غضب لمقتله فتمرد على المأمون بسبب استعانته بالفرس. عز الدين علي بن محمد ابن الأثير، المصدر السابق، ج 3، ص 142.

⁵ - أحمد بن إسحاق يعقوبي، تاريخ يعقوبي، دار صادر، بيروت، د ط، 1995، ص 296.

⁶ - اعبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، تحقيق، محمد الحجيري، دار الفكر، بيروت، د ط، 1920، ص 148.

⁷ - أحمد بن علي القلقشندي، صبح الاعشى، دار الكتب المصرية، 1922، ج 2، ص 220.

⁸ - علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر، المصدر السابق، ج 29، ص 220.

الجمال وابن أبي أسقر وغيرهما، فأكرمه المأمون؛ ثم ولاة بعد ذلك الأعمال الجليلة مثل خراسان وغيرها¹ وكتب إلى القضاة وعمال الخراج بالانتهاء إلى أمره.

2.5 . في ولاية خراسان

1.2.5 سياسيا:

حين ولاة المأمون على إقليم خراسان لم تختلف سيرته وإدارته لها عما كان منه في إدارته لمصر ومن أهم الأعمال التي قام بها وجعلت الشاء يكثر عليه، وأول عمل قام به أبقى على الولاة السابقين حيث كتب إلى مهدي بن أصرم، ومحمد بن يوسف، وعبد الرحمن بن حبيب، القواد الذين كانوا مع محمد بن حميد، أن يقيموا بمواضعهم.² حتى تستقر الإدارة ناهيك على أنهم كانوا أكثر دراية بأحوال خراسان. وتمكن من التصدي للتمردات بالولاية.

*- قضاؤه على حركة المازيار³ في آمل بطبرستان عهد الخليفة المعتصم سنة (218 هـ - 227 هـ) (833م-842 م) وكان لا يرضى أن يدفع الخراج إلى نائب خراسان عبد الله بن طاهر بن الحسين، بل يبعثه إلى الخليفة ليقبضه منه، فبعث الخليفة من يتلقى ثم يدفعه إلى ابن طاهر، وقوي أمره وخرج عن طاعة للمعتصم. وقد كان المازيار هذا ممن يكاتب بابك الخرمي ويعدده بالنصر. ويقال إن الذي قوى رأس مازيار على ذلك الأفشين⁴ ليعجز عبد الله بن طاهر عن مقاومته فيوليه المعتصم بلاد خراسان مكانه، فبعث إليه المعتصم محمد بن إبراهيم بن مصعب ابن عم الخليفة في جيش كثيف فجرت بينهم معارك طويلة، وكان آخر ذلك أسر المازيار وحمله إلى عبد الله بن طاهر، فاستقره عن الكتب التي بعثها إليه الأفشين فأقرها، فأرسله إلى المعتصم وما معه من أمواله التي احتفظت للخليفة، وهي أشياء كثيرة جدا، من الجواهر والذهب والثياب. فلما أوقف بين يدي الخليفة سأله عن كتب الأفشين إليه فأنكرها، فأمر بقتله وصلب إلى جانب بابك الخرمي على جسر بغداد، وقتل عيون أصحابه وأتباعه⁵

¹ - يوسف بن تغري بردي جمال الدين، المصدر السابق، ج 1، ص 211.

² - أحمد بن إسحاق يعقوبي، المصدر السابق، ج 1، ص 300.

³ - المازيار بن قارن آخر الأمراء القاريانيين بطبرستان، الذي اتخذ من موطنه مسرحا لنشاطه الثوري المعادي للدولة. اعتنق المازيار الإسلام وتسمى باسم محمد، وولاه المأمون على طبرستان ورويان وديباوند، ولقبه الأصبهذ ويبدو أنه كان ذا نزعات استقلالية؛ فأراد الانفصال عن الدولة فاستغل الخصومة بين الطاهريين - الذين كان يكرههم، وبين الأفشين الطامع في ولاية خراسان ليرفع راية الثورة، وكان هذا الأخير قد كاتب المازيار وشجعه على إعلان العصيان على حكمهم، أملا ألا يتمكن هؤلاء من إخضاعه، فيتخذ - عندئذ - ذلك ذريعةً لانتزاع خراسان منهم. شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تاريخ الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1، 1987، ج 16، ص 24.

⁴ - الأفشين حيدر بن كاوس الأثروسي ومن أبناء ملوك خراسان قائد عسكري من قواد المعتصم قضى على بابك الخرمي الذي غلب على أذربيجان وعات فيها فسادا وأراد أن يحيي ملة المجوس. أحمد بن إسحاق يعقوبي، المصدر السابق، ج 1، ص 297؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 16، ص 7.

⁵ - محمد بن جرير الطبري، المصدر السابق، ج 5، ص 248؛ علي بن محمد بن عبد الكريم ابن الاثير، المصدر السابق، ج 3، ص 202؛ إسماعيل بن عمر ابن كثير، المصدر السابق، ج 10، ص 317.

*- الرقابة الإدارية: تشديد الرقابة على عماله ومحاسبتهم ومثال ذلك كتب عبد الله بن طاهر الخراساني إلى الحسن بن عمر التغلبي¹ «أما بعد، فقد بلغني ما كان من قطع الفسقة الطريق ما بلغ، فلا الطريق تحمي، ولا اللصوص تكفي، ولا الرعية ترضي، وتطمع بعد هذا في الزيادة! إنك لمنفسح الأمل! وأيم الله لتكفيني من قبلك أو لأوجهن إليك رجالا لا تعرف مرة من جهم، ولا عدي من رهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله»².

-اعتناؤه بالقضاء وإقامة الحدود على الجرائم.

-طور نظام البريد واستعمل الحمام الزاجل كوسيلة اتصال بينه وبين عماله من جهة وبينه وبين الخليفة من جهة أخرى.

ويذكر اليعقوبي: أن عبد الله بن طاهر قد ضبط خراسان ضبطاً ما ضبطه أحد مثله ودانت له البلاد واستقامت له الكلمة³.

2.2.5 عسكرياً: حيث حصن الثغور في إقليم خراسان باعتباره أحد أهم الأقاليم في الدولة العباسية. التي كثيراً ما تشهد اضطرابات بين الحين والآخر حيث بعث الخليفة المأمون إسحاق بن إبراهيم ويحيى بن أكثم إلى عبد الله بن طاهر يخبرانه بين خراسان، ونيابة الجبال وأذربيجان وأرمينية ومحاربة بابك، فاختار المقام بخراسان⁴ لكثرة احتياجها إلى الضبط، وللخوف من ظهور الخوارج

3.2.5 اقتصادياً:

*-اهتمامه بالزراعة حيث نوع المحاصيل وشق الترع وقنوات الري.

أصدر تشريعات وقوانين تنظم العلاقة بين المزارعين في استخدام المياه.

*-اهتم بالصناعة حيث خصص كل مدينة بصناعة معينة فاشتهرت مرو بصناعة المنسوجات الحريرية والقطنية المعروف بجودتها⁵ وتميزت طبرستان بصناعة المفروشات والنسيجية خاصة الكتان، واللبسة الحريرية المعروفة بالإبريسم والأكيسة الطبرية التي بلغت شهرتها الافاق⁶ أما إقليم ما وراء النهر فاشتهر بالصناعات المعدنية خاصة الحديدية وإيران بصناعة السجاد منذ القدم بالإضافة إلى الصناعة الجلدية والخزف والأسلحة.

4.2.5 علمياً

اهتم بتشجيع العلماء والأدباء والشعراء، خاصة أنه كان شاعراً بليغاً فأكرمهم وعرف منزلتهم، منهم العالم المحدث أبو عبيد القاسم بن سلام (ت224 هـ/ 839م) أحد أئمة اللغة والفقه والحديث والقرآن والاحبار وأيام الناس، له المصنفات المشهورة المنتشرة بين

¹ - الحسن بن عمر بن الخطاب التغلبي معاصراً دولتي الأمين والمأمون هو الذي خط بلدة جزيرة أول من عمرها وتمثل اليوم الحدود السورية العراقية التركية. ابن شداد عزالدين محمد بن علي بن إبراهيم، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق، يحيى زكريا عبارة، وزارة الثقافة السورية، ط 1، 1991، ج 1، ص 149؛ عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني، الأنساب، تعليق عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، ط 1، 1988، ج 4، ص 337.

² - أحمد بن محمد بن عبد ربه، العقد الفريد، مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، ط 1، 1983، ج 1، ص 14؛ شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، النويري نهاية الارب في فنون الادب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، ج 6 ص 44.

³ - أحمد بن إسحاق اليعقوبي، المصدر السابق، ج 1 ص 307.

⁴ - محمد بن جرير الطبري: المصدر السابق، ج 5 ص 180.

⁵ - محمد بن محمد بن عبد الله الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، مكتبة الثقافة الدينية، 2008، ص 152

⁶ - محمد بن عبد المنعم، الحميري الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق، إحسان عباس، مكتبة لبنان، د ط، 1974، ص 384.

الناس، حتى يقال إن الامام أحمد كتب أبو عبيد كتابه في الغريب بيده، ولما وقف عليه عبد الله بن طاهر استحسنته حيث شمله بالعطف والرعاية. وقال: ما ينبغي لعقل بعث صاحبه على تصنيف هذا الكتاب أن نحوج صاحبه إلى طلب المعاش. وأجرى له عشرة آلاف درهم في كل شهر وأجرها على ذريته من بعده¹

وسأل عبد الله بن طاهر، الحسين بن الفضل² عن قوله تعالى ﴿كل يوم هو في شأن﴾³ فأجاب هي شؤون يديها لا شؤون يبتديها فقام إليه وقبل رأسه. ⁴ ارتباطه بالشاعر كلثوم بن عمرو بن حارث⁵ وكذلك بيوحنا بن ماسويه⁶

حدث الحسين بن منصور عن جماعة من طلبة الحديث قالوا: كنا بالشام أيام عبد الله بن طاهر قال: فأملقنا حتى صرنا في غير نفقة، وكانت العلماء لا تحدث يوم الجمعة، فقلنا لأصحابنا يوم الجمعة: مروا بنا إلى الفرات نغسل هذا الشعث عنا والندس، فذهبنا إلى الفرات فغسلنا رؤوسنا وثيابنا، فأقبل شاب بين ومعه خادم حتى وقف علينا فقال: من أنتم؟ قلنا: جماعة من الناس ونوازع بلدان فقال: من طلبة الحديث؟ قلنا: نعم. فقال: ممن يقول: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص؟ قلنا: نعم. قال: فما حالكم في نفقاتكم؟ قلنا: أسوأ حال. فالتفت إلى الخادم فقال: يعطون ألفاً ألفاً. قال: فمر بنا، فألقيت في أكمامنا، ألفاً ألفاً، فقلنا للخادم: من هذا؟ قال: عبد الله بن طاهر⁷ كان عارفاً للعلماء منزلتهم حتى أنه يعد من الحكام الذين رثوا العلماء في وفاتهم قال عبد الله بن طاهر: كان للناس أربعة: ابن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، والقاسم بن معن في زمانه، وأبو عبيد القاسم بن سلام في زمانه. ورثي عبد الله بن طاهر أبا عبيد، فقال:

يا طالب العلم قد أودى بن سلام	***	قد كان فارس علم غير محجام
أودى الذي كان فينا ربع أربعة	***	لم يلف مثلهم إسناد أحكام
خير البرية عبد الله عالمها	***	وعامر ولنعم التلو يا عام
هما أنافا بعلم في زمانهما	***	والقاسمان ابن معن وابن سلام

¹ - القاسم بن سلام الهروي الأزدي بالولاء أبو عبيد من كبار العلماء بالحديث والادب والفقهاء من أهل هراة ولد سنة 157 رحل إلى بغداد فولي القضاء بطرسوس 18 سنة ورحل إلى مصر سنة 213 هـ ثم عاد إلى بغداد فسمع الناس من كتبه حجج وتوفى بالكوفة سنة 224 هـ. مصطفى بن قحطان الحبيب، الأوهام الواقعة في أسماء العلماء والاعلام، مكتبة مشكاة الإسلامية، د ط، 1427، ج 1، ص 26.

² - الحسين بن الفضل ابن عمير العلامة المفسر الامام اللغوي المحدث أبو علي البجلي الكوفي ولد سنة 180 هـ أقدمه ابن طاهر إلى نيسابور وابتاع له دار عزز بقي يعلم فيها إلى أن توفي فيها سنة 280 هـ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 13، ص 414.

³ - سورة الرحمن الآية 29.

⁴ - أحمد بن علي ابن حجر، فتح الباري، دار الرسالة العالمية، ط 1، 2013، ج 11، ص 492.

⁵ - كلثوم بن عمرو العتابي أصله من قنسرين صحب البرامكة وطاهر بن الحسين امتاز شعره بحسن الاعتذار له مؤلفات عديدة منها كتاب "المنطق" وكتاب "الآداب" وكتاب "فنون الحكم" وكتاب "الخليل" وكتاب "الالفاظ" توفي سنة 220 هـ / 835 م صلاح الدين بن خليل أبيك، المصدر السابق، ج 3، ص 219.

⁶ - يوحنا بن ماسويه أبو زكريا من علماء الاطباء. المشهورين سرياني الاصل. عربي المنشأ. كان أبوه صيدلانيا في جنديسابور (بخوزستان) ثم من أطباء العين، في بغداد. وتقدم، وخدم الرشيد. والمأمون ومن بعدهما إلى أيام المتوكل، بمعالجتهم وتطبيب مرضاهم (ت 243 هـ). الزركلي، المرجع السابق، ج 8، ص 211.

⁷ - محمد بن مكرم بن علي ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، تحقيق، مج من المحققين، 1984، ج 4، ص 229.

وكان أبو عبيد القاسم كلما ألف كتابا أهداه للأمير عبد الله بن طاهر فيحمل إليه مالا كثيرا استحساناً لذلك، وكتبه مستحسنة مطلوبة في كل بلد.¹ ويتجاوز عن أساء إليه فقد هجاه محمد بن يزيد الأموي بقصيدة عارض بها قصيدته التي افتخر فيها، فلما قدم ابن طاهر الشام قصده، فلم يهرب منه واستسلم لأمره، فعفا عنه، ولحقه إلى مصر، واجتاز بدمشق، ولم يفارقه إلى أن رجع ابن طاهر إلى العراق² ممثلاً لنصيحة والده «واملك نفسك عند الغضب وآثر الوقار والحلم وإياك منطقتك» استمر عبد الله بن طاهر في ولايته ساهرا خادما لمن استخلفه وعلى من يرعاهم وبقي صرح دولته شامخا لأكثر من نصف قرن وأراد أن يعرف بقاء الحكم في أيديهم فسأل والده يوما فقال: «كم تبقى هذه الدولة فينا وتبقى في بيتنا؟ قال: مادام بساط العدل والإنصاف مبسوطاً في هذا الإيوان».³

بعد ما استعرضنا ما قام به عبد الله بن طاهر من أعمال أثناء ولايته لمصر والرقّة ثم خراسان قد عمل بما أوصاه به والده، مما جعله ممدوح السيرة عند الخاصة والعامة، فقد بسط الأمن والعدل في مصر ويذكر اليعقوبي في مسألة حقن عبد الله للدماء، لما اشترط عليه عبد الله بن السري في الأمان أن يطلق له جباية الصعيد شهرين، فأجابته لطلبه وأعطاه الأمان وقال لو اشترط أن أضع له خدي في الأرض يطأ عليها لفعلت وكان ذلك قليلا عندي في جنبي ما أؤثره في حقن الدماء⁴ وبعد فتحه لمصر وهب له المأمون خراجها لمدة سنة، فلم يدخلها حتى صعد المنبر، فما نزل حتى فرق جميع ذلك، وكان ثلاثة آلاف ألف دينار⁵ ويذكر ابن تغري لما رجع عبد الله من الشام إلى بغداد صعد فوق سطح، فنظر إلى دخان يتصاعد بجواره فسأل ما هذا الدخان فقيل له لعل قوما يجزون، فقال أو يحتاج جيراننا إلى ذلك ثم دعا حاجبه وقال: امض ومعك كاتب وأحص جيراننا من لا يقطعهم عنا شارع فمضى لما أمره وأحصاهم، فأمر لكل بيت بالخبز واللحم وما يحتاجونه إليه من كسوة الشتاء والصيف والدرهم فما زالوا كذلك حتى خرج من بغداد فانقطع ذلك، لكنه صار يبعث إليهم من خراسان بالكسوة مدة حياته⁶ وقد حفلت كتب السيرة والمصادر التاريخية بمناقب هذا الأمير رغم قصر مدة حكمه بل مدة الدولة الطاهرية التي لم تزد عن نصف قرن. وظلت سيرته ممدوحة وأعماله محمودة في خراسان أيضا. ولعل ما تم ذكره يجعلنا نستشف الإجابة على سؤالنا السابق بأن عبد الله بن طاهر قد حقق الكثير وإلى حد كبير مما أوصاه به والده، وما جاء في وصيته من نصائح. وتوجيهات يعود في تقديرنا إلى حسن اختياره للبطانة الصالحة. التي تبين ضرورة ارتباط العمل السياسي بالأخلاق وبقي عبد الله بن طاهر مثال للحاكم الصالح إلى وفاته بنسابور سنة (230 هـ - 844م) وسنة 47 سنة⁷ في خلافة الواثق (227 هـ - 232 هـ) (841م - 846م).

¹ - أحمد بن علي الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج 12، ص 404.

² - محمد بن مكرم بن علي ابن منظور المصدر السابق، ج 7، ص 182.

³ - محمد بن محمد أبو حامد الغزالي، الثبر المسبوك في نصيحة الملوك، تحقيق محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، 1988، ص 32

⁴ - أحمد بن إسحاق اليعقوبي، المصدر السابق، ج 1، ص 298.

⁵ - صلاح الدين بن خليل أبيك الصفدي، المصدر السابق، ج 5، ص 401.

⁶ - يوسف بن تغري بردي جمال الدين، المصدر السابق، ج 1، ص 209.

⁷ - علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر، المصدر السابق، ج 29، ص 217.

6 القيمة التاريخية للرسالة أو الوصية.

الوصية تحوي قيمة تاريخية كبيرة، موجهة من أمير عاش في أسرة عريقة ذات مجد، أخذ عن أبيه الخبرة السياسية والمهارة العسكرية، والدراية بفنون الحرب والإدارة. خبر أغوار السياسة ورجالها وعرف أصنافهم، ومن يكون السند الحقيقي في إدارة الدولة وشؤون الرعية، كما كان ممارسا ومديرا للملك. ليس هذا فقط بل كان مثبت للخلافة، ومؤسس لدولة التي جعلها مستقلة عن مركز الخلافة، وهو أديب أيضا، فالوصية جاءت بأسلوب سهل ممتنع وبلغ، مما زادها روعة وبهاء في أذن كل من يقرأ الوصية أو يسمعها، وما يؤكد ذلك قول المأمون فيها وفي كاتبها، ووصي بنشرها على كل العمال في جميع أقاليم الخلافة، بل عددا دستور ووصفة لكل حاكم. وعليه فظاهر بن الحسين خط لنا الصور والصفات التي يجب أن يتحلى بها رجل الدولة. وأولها تقوى الله لأنها التربة التي تحوي معادن القيم التي لا تنبت إلا صلاحا. حيث ربط العمل السياسي بالأخلاق ومن خلال كتب تراجم الرجال والتاريخ بينت أن المنصوح لم يكن مجرد متلقي أو متأمل بل تلقى الوصية. وترجم ما فيها على أرض الواقع، واستقبل الوصية بأذن المستمع الجيد وبعقل المتدبر، والمطبق للوصية وما إدارته لمصر والذكرى الطيبة التي تركها بين أهلها وازدهار دولته بخرسان في عهده لدليل على ذلك، بل أن عبد الله سأل والده كم يدوم هذا السلطان في بيت الطهارين فكان جوابه أبلغ من السائل "ما دام العدل والإنصاف مبسطان في هذا الإيوان". والحقيقة حري على كل مسؤول ألا يقرأ هذه الوصية فحسب بل أن يتقنى آثار هذا الحاكم الذي يعد نموذجا بصورة ناصعة في تاريخنا الإسلامي.

خاتمة:

نستنتج ما يلي

- 1- حفلت كتب التاريخ الإسلامي بالوصايا المتنوعة وهي أسلوب اعتمد في التربية والتوجيه منها وصايا الأنبياء والرسل للناس والخلفاء والأمراء لرعاياهم والعلماء للأمة والأبناء.
- 2- قال فيها المأمون لما قرئت عليه ما أبقى أبو الطيب شيئا من أمر الدين والدنيا والتدبير والرأي والسياسة وإصلاح الملك والرعية وحفظ البيضة وطاعة الخلفاء وتقويم الخلافة إلا وقد احكمه وأوصى به وتقدم.
- 3- نالت وصية طاهر بن الحسين شهرة كبيرة في العصر العباسي الأول وتناقلها الناس كما أوصى الخليفة المأمون أن تنسخ وتوزع على الأمصار
- 3- جاءت الوصية حافلة بقيم تربوية وأخلاقية تعد أساس لتكوين قادة المستقبل.
- 4- جاءت نصائح طاهر بن الحسين لابنه مرتبة استهلها بتقوى الله عز وجل لأنه أساس أي عمل. حيث ربط السياسة بالأخلاق. وهذا يؤكد ما مدى ضرورة ارتباط العمل السياسي بالأخلاق.
- 5- تضمنت الوصية توجيهات أخلاقية وإدارية واقتصادية واجتماعية وعلمية فهي تمثل دستور متكامل في إدارة أي دولة في العصر الحديث.
- 6- تمكن عبد الله استنباط مبادئ القيادة من وصية والده وطبقها فيما اسند إليه في إدارة الولاية والدولة. فأصبح ممدوح السيرة وذكرته كتب التاريخ بما هو أهل له.

النتائج المتوصل إليها

- أن طاهر بن الحسين قدم كل خبراته التي اكتسبها لابنه حرصاً منه على مصلحته وحتى يتمكن من أداء مهامه على أكمل وجه.
- حقق عبد الله العدل والانصاف وتمكن من أن ينال رضا الخليفة والرعية
- خلد اسم الطاهريين في التاريخ الإسلامي لما قدموه من خدمات جليلة.
- حرص على تطبيق ما نصح به.

- الاقتراحات:

- ضرورة الاهتمام بوصايا أصحاب الخبرة من الحكام والعلماء والسلاطين والامراء التي تزرع بها مصادر تاريخنا الإسلامي.
- العمل على استنباط مبادئ العمل الإداري للقضاء على البيروقراطية التي تنخر مؤسساتنا.
- حث طلبة العلم للاطلاع عليها ودراستها لتكون لهم منهاجاً في حياتهم العملية في جميع الميادين.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- 1- ابن شداد عزالدين محمد بن علي بن إبراهيم، الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق، يحي زكريا عبارة، (وزارة الثقافة السورية، ط 1، 1991)، ج 1، ص 149.
- 2- أبو الفداء إسماعيل ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق، علي شري، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 1988)، ج 10، ص 282.
- 3- أحمد بن إسحاق البغدادي، تاريخ البغدادي، (دار صادر، بيروت، د ط، 1995)، ص 296.
- 4- أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، السنن الكبرى، (دائرة المعارف النظامية، الهند، ط 1، 1344)، ج 6، ص 162.
- 5- أحمد بن علي ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، (دار الجليل، بيروت، 1412)، ج 4، ص 575.
- 6- أحمد بن علي ابن حجر، فتح الباري، (دار الرسالة العالمية، ط 1، 2013)، ج 11، ص 492.
- 7- أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، (دار الكتب العلمية، بيروت، د ط)، ج 9، ص 483.
- 8- أحمد بن علي القلقشندي، صبح الاعشى، (دار الكتب المصرية، 1922)، ج 2، ص 220.
- 9- أحمد بن محمد بن خالد الناصري، الاستقصاء لدول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري، (دار الكتاب، الدار البيضاء، د ط، 1997)، ج 1، ص 223.
- 10- أحمد بن محمد بن عبد ربه، العقد الفريد، مفيد محمد قميحة، (دار الكتب العلمية، ط 1، 1983)، ج 1، ص 14؛
- 11- أحمد محمد عدوان، موجز في تاريخ دويلات المشرق المستقلة، (دار عالم الكتب للنشر والتوزيع 2008)، ص 18.
- 12- جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، (مطبعة السعادة، مصر، 1952)، ج 12، ص 108.
- 13- خير الدين بن محمود الزركلي، الاعلام، (دار العلم للملايين، ط 5، 2002)، ج 6، ص 114.
- 14- زين الدين بن عمر بن المظفر الشهير بابن الوردي، (در الكتب العلمية، بيروت، د ط، 1996)، ص 207.
- 15- شمس الدين بن محمد بن عثمان الذهبي، سير اعلام النبلاء، تحقيق شعيب الاناؤوط، (مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993)، ج 12، ص 118.
- 16- شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، النويري نهاية الارب في فنون الادب، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2004)، ج 6 ص 44.
- 17- صلاح الدين بن خليل بن أبيك الصفدي، الوافي بالوفيات، (دار إحياء التراث العربي، د ط، 2000)، ج 5، ص 204.
- 18- عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ، دار إحياء التراث العربي، بيروت د ط، 1971.
- 19- عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، تحقيق، محمد الحجيري، (دار الفكر، بيروت، د ط، 1920)، ص 148.
- 20- عبد العزيز إبراهيم العمري، الولاية على البلدان، في عصر الخلفاء الراشدين، (دار اشيبيلية للنشر والتوزيع، د ط، الرياض 2001) ص 82.
- 21- عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني، الأنساب، تعليق عبد الله عمر البارودي، (دار الجنان، ط 1، 1988)، ج 4، ص 337.
- 22- عبد الله بن محمد ابن أبي شيبه، مصنف، تحقيق، محمد عوامة، (دار القبلة، د ط، 2006)، ج 6، ص 547.

- 23- عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، عيون الأخبار، (دار الكتب المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة، د ط، 1925)، ص 13.
- 24- علاش أحمد، محفزات النشاط الاقتصادي في الإسلام، رسالة دكتوراه في الاقتصاد، جامعة يوسف بن خدة، الجزائر، 2006، ص 89.
- 25- علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر، تاريخ دمشق، تحقيق، علي شري، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د ط، 2007)، ج 29، ص 216.
- 26- علي بن محمد بن عبد الكريم ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق أبو الفداء عبد القاسي، (دار الكتب العلمية، ط 1، 1987)، ج 3، ص 163.
- 27- محمد الصادق الهاشمي : احتجاج الحاكم عن رعيته مقال منشور تاريخ 20 / 6 / 2020 ، اطلع عليه الساعة 17 و 51 دقيقة يوم 31 / 12 / 2020
<https://www.awarenessyemen.com/>
- 28- محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، تحقيق ودراسة وتعليق، فؤاد عبد المنعم أحمد، (دار الثقافة، قطر، د ط، 1988)، ج 1، ص 66، 67.
- 29- محمد بن ابي بكر بن القيم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق، حامد الفقي، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1، 1973)، ج 1، ص 469.
- 30- محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، الجامع الصحيح، (دار ابن كثير، بيروت، ط 3، 1987)، ج 9، ص 63.
- 31- محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1407)، ج 5، ص 153.
- 32- محمد بن عبد الله الأزقي، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق، علي سامي النشار، (وزارة الاعلام، العراق، 2008)، ص 77.
- 33- محمد بن عبد المنعم، الحميري الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق، إحسان عباس، (مكتبة لبنان، د ط، 1974)، ص 384.
- 34- محمد بن علي بن محمد بن طباطبا المعروف ب الطقطقا، الفخري في الآداب السلطانية، (دار صادر، د ط، 2007)، ص 85.
- 35- محمد بن محمد أبو حامد الغزالي، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، تحقيق محمد شمس الدين، (دار الكتب العلمية، 1988)، ص 32.
- 36- محمد بن محمد بن الوليد الطرطوشي، سراج الملوك، (المطبوعات العربية، مصر، د ط، 1872)، م ص 99.
- 37- محمد بن محمد بن عبد الله الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، (مكتبة الثقافة الدينية، 2008)، ص 152.
- 38- محمد بن مكرم بن علي ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، تحقيق، مع من المحققين، د ط 1984، ج 4، ص 229.
- 39- محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 1، ج 5، ص 154.
- 40- محمد بن منصور بن حبيش، الجوهر النفيس في سياسة الرئيس، (مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة، ط 1، 1996)، ص 166.
- 41- محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي، تسمية ولاية مصر، (مؤسسة الكتب الثقافية، مصر، د ط، 1987)، ص 54.
- 42- محمود بن إسماعيل، الدرّة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء، (مكتبة نزار مصطفى الباز نزار، الرياض، 1996)، ج 1، ص 70.
- 43- مسلم بن الحجاج بن مسلم، صحيح مسلم، (دار طيبة، ط 1، 2006)، ج 3، ص 1458.
- 44- مصطفى بن قحطان الحبيب، الأوهام الواقعة في أسماء العلماء والاعلام، (مكتبة مشكاة الإسلامية، د ط، 1427)، ج 1، ص 26.
- 45- موسى إبراهيم علي، التوجيهات التربوية المستنبطة من وصية طاهر بن الحسين لابنه عبد الله (ت 207)، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 1441، ص 88.
- 46- ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، (دار الفكر العربي، بيروت، د ط، دت)، ج 1، ص 508.
- 47- يوسف بن تغري بردي جمال الدين، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (وزارة الثقافة، مصر، د ط، 1963)، ج 1، ص 208.
- 48- يوسف بن عبد الله ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (دار الجليل، بيروت، ط 1، 1412)، ج 1، ص 70.